أثر سياسة التولية والعزل على العلاقات الخارجية للدولة السامانية

الباحثة/ ميار حمام على ضرار
إشراف
الأستاذ الدكتور/ محمد سيد كامل

الملخص باللغة العربية:

جاء هذا البحث بعنوان أثر سياسة التولية والعزل على العلاقات الخارجية للدولة السامانية حيث قامت الدولة السامانية في بلاد ما وراء النَّهْر وبسطت سلطانها على خُراسَان كما ضمت إليها طَبَرِسْتَان والرَّيّ والجبل وسِجِسْتان، وفي ظل السامانيين اتحد الإيرانيون في إيران مع الترك في دولة واحدة ربما للمرة الأولى في تاريخ المنطقة، وعلى أثر ذلك نزح عدد غير قليل من الإيرانيين حيث استقروا في تُركِسْتَان نظرًا لاستتباب الأمن فيها والذي يتطلب التأكيد عليه هو أن السامانيين كانوا يهتمون اهتمامًا كبيرًا بالثغور، فهي دولة ثغرية في المقام الأول، وكانوا يدخلون في صراعات مع جيرانهم من المسلمين وغيرهم دفاعًا عن أنفسهم أو دفاعًا عن مصلحة الخلافة وحفاظًا على أملاكها، ويتبين هذا فى العلاقة بين السامانيين والدويلات التي عاصرتهم، إن سياسة التولية والعزل التي اتبعها حكام الدولة السامانية لم ينجم عنها من الناحية السياسية تمرد وخروج من القادة العسكريين عن سلطة الدولة، بل ونجم عنها كذلك أثر سياسي أخر تمثل في التأثير الذي حاق بالدولة السامانية المتصلة بعلاقاتها الخارجية مع القوى المجاورة والخارجية بسياسة التولية والعزل.

الكلمات المفتاحية: التولية، العزل، الدولة السامانية، بلاد ما وراء النهر.

Abstract:

This research was entitled The impact of the policy of toleration and isolation on the Foreign Relations of the Samanid state, where it Under the samanids, the Iranians in Iran united with the Turks in one state, perhaps for the first time in the history of the region, and as a result, quite a few Iranians were displaced, where they settled in Turkestan due to the stability of security in it, which requires confirmation is that the samanids were very interested in the gaps, it is a gap State in the first place, and in defense of the interest of the caliphate and the preservation of its possessions, this can be seen in the relationship between the samanids The policy of succession and isolation followed by the rulers of the Samanid state did not result from a political point of view in a rebellion and the departure of military commanders from the authority of the state, but it also resulted in another political impact, which was the impact on the Samanid state related to its external relations with neighboring and external powers by the policy of succession and isolation.

Keywords: Tulia, isolation, Samanid state, Transoxiana.

مقدمة:

قامت الدولة السامانية في بلاد ما وراء النَّهْر وبسطت سلطانها على خُراسَان كما ضمت إليها طَبَرِستَان والرَّيّ والجبل وسِجِستان، وفي ظل السامانيين اتحد الإيرانيون في إيران مع الترك في دولة واحدة ربما للمرة الأولى في تاريخ المنطقة، وعلى أثر ذلك نزح عدد غير قليل من الإيرانيين حيث استقروا في تُركِستَان نظرًا لاستتباب الأمن فيها والذي يتطلب التأكيد عليه هو أن السامانيين كانوا يهتمون اهتمامًا كبيرًا بالثغور، فهي دولة ثغرية في المقام الأول، وكانوا يدخلون في صراعات مع جيرانهم من المسلمين وغيرهم دفاعًا عن أنفسهم أو دفاعًا عن مصلحة الخلافة وحفاظًا على أملاكها، ويتبين هذا فى العلاقة بين السامانيين والدويلات التي عاصرتهم، إن سياسة التولية والعزل التي اتبعها حكام الدولة السامانية لم ينجم عنها من الناحية السياسية تمرد وخروج من القادة العسكريين عن سلطة الدولة، بل ونجم عنها كذلك أثر سياسي أخر تمثل في التأثير الذي حاق بالدولة السامانية المتصلة بعلاقاتها الخارجية مع القوى المجاورة والخارجية بسياسة التولية والعزل.

خطة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة فى مقدمة وأربعة مباحث

المبحث الأول: أثر سياسة التولية والعزل على علاقات الدولة السامانية بالدولة العباسية.

المبحث الثانى: أثر سياسة التولية والعزل على علاقات الدولة السامانية بالطاهريين.

المبحث الثالث: أثر سياسة التولية والعزل على علاقات الدولة السامانية مع الصفاريين.

المبحث الرابع: أثر سياسة التولية والعزل على علاقات الدولة السامانية مع بنى بويه.

قامت الدولة السامانية في بلاد ما وراء النَّهْر وبسطت سلطانها على خُراسَان كما ضمت إليها طَبَرِستَان والرَّيّ والجبل وسِجِستان[١]، وفي ظل السامانيين اتحد الإيرانيون في إيران مع الترك في دولة واحدة ربما للمرة الأولى في تاريخ المنطقة، وعلى أثر ذلك نزح عدد غير قليل من الإيرانيين حيث استقروا في تُركِستَان نظرًا لاستتباب الأمن فيها[٢] والذي يتطلب التأكيد عليه هو أن السامانيين كانوا يهتمون اهتمامًا كبيرًا بالثغور، فهي دولة ثغرية في المقام الأول، وكانوا يدخلون في صراعات مع جيرانهم من المسلمين وغيرهم دفاعًا عن أنفسهم أو دفاعًا عن مصلحة الخلافة وحفاظًا على أملاكها، ويتبين هذا فى العلاقة بين السامانيين والدويلات التي عاصرتهم[٣].

١- حسن محمود: العالم الإسلامي، ص٤٦٢.

٢- حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ١٩٩٨م، ص١٤٥.

٣- بارتولد: تُركِستَان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين هاشم، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨١م، ص٢٠٩.

إن سياسة التولية والعزل التي اتبعها حكام الدولة السامانية لم ينجم عنها من الناحية السياسية تمرد وخروج من القادة العسكريين عن سلطة الدولة، بل ونجم عنها كذلك أثر سياسي أخر تمثل في التأثير الذي حاق بالدولة السامانية المتصلة بعلاقاتها الخارجية مع القوى المجاورة والخارجية بسياسة التولية والعزل وهو ما يمكن إيجازه من خلال الحديث عما يلي:

المبحث الأول: أثر سياسة التولية والعزل على علاقات الدولة السامانية بالدولة العباسية:

كان لتولية العباسيين بني سامان أمراء على بلاد ما وراء النَّهْر في عهد الخليفة المأمون أثره في ناحيتين: الأولى، هي الحفاظ على تلك البلاد من ناحية، ومن الناحية الثانية: تهيئتهم لتولي مقاليد الحكم وقيام دولتهم فيما بعد[١]. فقد مرت العلاقات بين الخلافة العباسية والسامانيين بمرحلتين:

المرحلة الأولى:

منذ ولاهم الخليفة المعتمد علي الله العباسي على بعض ولايات خُراسَان وما وراء النَّهْر، حتى تغلبهم على الصفاريين سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠١م[٢] وتتسم هذه المرحلة بالتبعية الكاملة للخلافة العباسية، فقد ظل الأمراء السامانيون مجرد ولاة يتبعون الخلافة، ويتضح ذلك النقوش التي تحملها نقودهم، فنقش السامانيون عليها ألقاب الخلفاء وأولياء عهودهم دون أسماء أو ألقاب السامانيين أنفسهم، وذلك على السكة الرئيسة وهي الدنانير الذهبية[٣].

المرحلة الثانية:

تمتع فيها الأمراء السامانيون بالسيادة والاستقلال الذاتي على ولاياتهم، بعد أن اكتشف السامانيون بالسيادة والاستقلال الذاتي علي ولاياتهم، بعد أن أكتشف السامانيون أن الخليفة المعتمد يولي عمرو بن الليث الولايات نفسها التي يولي عليها بني سامان، فاحتفظ السامانيون بتبعية أسمية للخلافة العباسية بينما فرضوا سيادتهم الكاملة على ولاياتهم، ويتجلى ذلك في نقش أسمائهم على النقود مع ألقاب الخلفاء العباسيين، فضلًا عن عدم التزام السامانيين بإرسال الخراج إلى حاضرة الخلافة العباسية كسابق عهدهم في المرحلة الأولى[٤]، ومما سبق يتبين لنا أن سياسة التولية والعزل كان لها دورها وأثرها الكبير في العلاقات العباسية السامانية، فعندما أحس السامانيون بمحاولة الخليفة العباسي المعتمد بالله بعزلهم وتولية ولايات خُراسَان للصفارين، تغير ولاؤهم للخلافة العباسية.

١- حسن محمود: العالم الإسلامي، ص٤٦٧.

٢- الكرديزي: زين الأخبار، ترجمه عن الفارسية عفاف زيدان، دار الطباعة القانونية المحمدية، القاهرة- مصر، ١٩٨٢م، ص٢٣١.

٣- محمود عرفة محمود: النقود في مصر والدول الإسلامية المستقلة في المشرق، رسالة دكتوارة غير منشورة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٥٥.

٤- محمود عرفة: النقود، ص١٥٥.

كانت العلاقات العباسية السامانية جادة وجيدة وقامت على أساس من المودة والرحمة المتبادلة بينهما طيلة سنين حكمهما، ومهما تنوعت وتعددت العناصر المتسلطة على زمام السلطة في بَغْدَاد حاضرة الخلافة[١].

وكان لإرسال الخلافة العباسية مرسوم تعيين الأمير نصر بن أحمد الساماني حاكمًا على بلاد ما وراء النَّهْر معارضة الادعاءات ودعوات يعقوب بن الليث الصفار[٢]، وقد أدت ولايته على ما وراء النَّهْر وشخصيته وقيادته، والتي أدت إلى استقرار الدولة السامانية وضمان هيمنتها – تقريبًا– على كل ما يتصل بالبلاد والعباد في بلاد ما وراء النَّهْر[٣]، ولذلك كان لتولية الأمير نصر حكم تلك البلاد أثره، حيث قد رسخت العلاقات السياسية الطيبة بين السامانيين والعباسيين، وفي عصره وضعت أُسس التعاون الوطيدة بينهم، ذلك التعاضد الذي دام أكثر من قرابة مئة عام[٤].

وكان السامانيون من أتباع المذهب الحنفي، مذهب الخلافة العباسية، فكانت حاجتهم إلى عهود تولية من الخلفاء العباسيين كي يصبح حكمهم شرعيًا ضرورة قصوى[٥]، ولذلك نجد أن الخلفاء كانوا يبعثون منشور التولية لكل وال على ولايته عند تعيينه[٦]، وكان قبول امتياز التولية من الخليفة العباسية يُعد بمثابة إعلان التبعية السياسية له، وارتضوا لأنفسهم أن يكونوا عمالًا أو ولاة الخلافة، بل الأكثر من ذلك (موالي أمير المؤمنين)[٧].

وكان السامانيون يكنون كل التقدير والاحترام للخلفاء العباسيين، في كل المناسبات[٨]، وبادلهم الخلفاء نفس السياسة، فكانوا عندما يعقدون منشور أو مرسوم التولية كانوا يعقدونه بأيديهم، ويضيفون إليها خلع مميزة[٩]، وذكر ابن مسكويه[١٠] أن عقود التولية لإقليم خُراسَان كانت تتأثر بشكل مباشر لحد ما بالوضع السياسي الذي تمر به الخلافة العباسية آنذاك، وهيمنة العناصر الأجنبية على مقاليد الحكم في بَغْدَاد، فقد بعث ناصر الدولة لإبراهيم بن أحمد الساماني الذي شم منه رائحة التمرد المبطن ضد الأمير نوح بن

١- حسين أمين: الدولة السامانية، مقال بمجلة المؤرخ العربي، الصادرة عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد١٥، ١٩٨٠م، ص٩.

٢- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٩٨٥م، ج٣، ص١٣٦.

٣- النرشخي: تاريخ بُخَارَى، عربه عن الفارسية وقدم له وعلق عليه أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٩٩٣م، ص١٢٣.

٤- حسين أمين: الدولة السامانية، ص٢١.

٥- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٩٧٩م، ج٧، ص٢٧٩.

٦- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٢٢٩.

٧- الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص٤١٤.

٨- القلقشندي: صبح الأعشى، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٨٧م، ج٦، ص٤١٠.

٩- النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص١٣٣.

١٠- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق وترجمة أبو القاسم إمامي سروش، الطبعة الثانية، طهران- إيران، ٢٠٠٠م، ج٢، ص١٥٢.

نوح بن نصر الساماني سنة (٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) خلعًا وهدايا سلطانية ثمينة مع لواء عقده عن الخليفة المطيع لله (٣٣٤-٣٤٤هـ/ ٩٤٦-٩٧٤م) لولاية إقليم خُراسَان[١].

وكان لتولية الخليفة المطيع لله إقليم خُراسَان للبويهيين، حينما تمكن معز الدولة البويهي من التأثير على الخليفة المطيع لله بتولية ركن الدولة البويهي وتم العقد له على خُراسَان[٢]، وكان لذلك أثره في سوء العلاقات العباسية السامانية، فقد فهم السامانيون أن الخليفة نزع منهم الإقليم وعزلهم عنها، فما كان منهم إلا أن قطعوا الخطبة للخليفة المطيع[٣]، وكان ذلك إجراءً وقتيًا أراد به السامانيون إبلاغ الخليفة المطيع بأهميتهم وقوتهم السياسية على المسرح السياسي، وشعوره بخطورة اتخاذ أي أجراء يتنافي ومصلحة الطرفين، بدليل أن العلاقة بين السامانيين والخليفة المطيع لله، قد تحسنت تحسنًا يحسد عليها عقب ذلك، وتوثقت روابط الألفة والمودة[٤].

ومن آثار تولية السامانيين على بلاد ما وراء النَّهْر، استمرار إرسال الضريبة المنتظمة للخلافة العباسية في بَغْدَاد، بعد منحهم حق الحكم لإقليم ما وراء النَّهْر وخُراسَان[٥]، وهذا يظهر سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م، في قيمة الضريبة التي كانت تُرسل إلى عاصمة الخلافة[٦].

ولم يتوان بنو سامان عن دعم الخلافة العباسية بأي شكل من الأشكال، فقد أصبحوا هم أقوى قوة في المشرق، فكان لابد أن يكون لهم رأي في اختيار الخلفاء الجدد[٧].

كما كان لسياسة التولية والعزل آثار على علاقات الدولة السامانية بالدول والقوى المجاورة لها، حيث كان لتلك السياسة آثار كبيرة في العلاقات السياسية بين تلك الدولة ودولة الخلافة العباسية، ففي عام ٣٠١هـ/ ٩١٤م، طلب أمراء الدولة السامانية من الخليفة العباسي تولية الأمير نصر بن أحمد الساماني حاكمًا على الدولة السامانية خلفًا لوالده الأمير أحمد الساماني[٨]، في نفس الوقت الذي طلب بعض الأمراء من الخليفة العباسي المقتدر بالله عدم تولية ذلك الأمير الحكم نظرًا لحداثة سنه[٩].

١- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٥٠٧.

٢- الكرديزي: زين الأخبار، ص٤٤.

٣- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، ٢٠٠٣م، ج٤، ص٣٦٧.

٤- النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص١٨٤.

٥- النرشخي: المصدر السابق، ص١٤٧.

٦- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٣٩.

٧- ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٢م، ج٥، ص٣٢٩.

٨- النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص١٥٧.

٩- ابن اسفنديار: تاريخ طَبَرِسْتَان، ترجمة أحمد محمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة- مصر، ٢٠٠٢م، ص١٣٤.

ذلك الخلاف حول تولية الأمير نصر بن أحمد بن نصر الساماني مُلك الدولة السامانية، تدخل الخليفة العباسي المقتدر بالله الذى أصدر أمرًا بتولية الأمير نصر بن أحمد الحكم، غير أن قرار الخليفة العباسي بإسناد إمارة تلك الدولة إلى نصر بن أحمد لاقت معارضة شديدة من بعض الأمراء لذا قرروا الخروج عليه وأعلنوا عزله من سلطة الحكم[١]، غير أن الخليفة العباسي ساند نصر بن أحمد بالجند والعتاد وتمكن من تثبيت مقاليد حكمه[٢].

إن الخلافة العباسية وإن كانت قد تدخلت فى تولية أمراء تلك الدولة لسدنة الحكم، فإنها قد تدخلت كذلك في قرارات حكام تلك الدولة الخاصة بعزل الولاة والقادة، ومن ذلك ما كان من مطالبة الخليفة العباسي المقتدر بالله لحاكم تلك الدولة الأمير نصر بن أحمد الساماني بعزل والى خُراسَان إسحاق بن إسماعيل الساماني، ومرجع ذلك إلى تعديه وسطوته على بَغْدَاد الذي كان يقوم بجلب المصوغات العراقية إلى بلاد خُراسَان وغيرها من أقاليم بلاد ما وراء النَّهْر، وقد استجاب الأمير الساماني نصر بن أحمد الى مطلب الخليفة العباسي، فعزل إسحاق بن إسماعيل وولى أخاه أحمد بن إسماعيل واليًا على خُراسَان[٣].

المبحث الثانى: أثر سياسة التولية والعزل على علاقات الدولة السامانية بالطاهريين:

لعبت سياسة التولية والعزل في العلاقة بين الطاهريين والسامانيين دورًا كبيرًا في تثبيت وقيام الدولة السامانية نفسها فقد كان لتولية العباسيين، الأمراء السامانيين ولايات إقليم ما وراء النَّهْر، وإبقاء الطاهريين أبناء أسد بن سامان على أعمالهم في ما وراء النَّهْر[٤]، من أجل كسب ثقتهم، فانبرى السامانيون في خدمة الطاهريين، وكسب ولاءهم، فقد كان أبناء أسد بن سامان يتمتعون بقابلية إدارية عالية، فضلًا عن إخلاصهم للطاهريين من جهة وللخلافة العباسية من جهة أخرى، مما دفع طاهر بن الحسين إلى الاستعانة بهم والوثوق فيهم، وقد أشار إلى ذلك النرشخي[٥] حينما ذكر أن طاهر بن الحسين قد منح لنوح بن أسد أكبر الأولاد خلعة الشرف وزادت المودة بينهما".

ولما توفي طاهر بن الحسين سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م[٦] وتولى ابنه طلحة بن طاهر الحكم، أبقى الأمراء السامانيين على ولاياتهم ومواقعهم ومناصبهم، إذْ لا يوجد نص تاريخي يشير إلى وقوع تغيير وتبدل في ولاياتهم، أو حدوث توتر أو أزمة في العلاقة بين السامانيين

١- الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠م، ص٥٩.
٢- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١٦، ص٤٨٠.
٣- ابن الأثير: المصدر السابق والجزء، ص٢٥٩.
٤- الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٢.
٥- تاريخ بُخَارَى، ص١٠٦.
٦- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٢٠.

وحكامهم الطاهريين لا من قريب ولا من بعيد، وهكذا يتبين أن السامانيين قد ظفروا بسيادة تامة على شرق إيران، واحتفظوا بالولايات التي كانت خاضعة لحكم الطاهريين[١].

كان لتلك السياسة من التولية للسامانيين من قِبَل الطاهريين أثره في تحسُن العلاقة بينهم، وكانت أقواها في عهد الأمير عبد الله بن طاهر (٢١٣- ٢٣٠هـ/ ٨٢٨- ٨٤٤م)، وكان السامانيون يعملون وفق إرادة الطاهريين ورغباتهم والتضحية في سبيل مصالحهم المشتركة، فهم ينحدرون من أصول إيرانية قديمة فأبقى الأمير عبد الله بن طاهر السامانيين في ولاياتهم وأقر النظام الوراثي لحكم بلاد ما وراء النَّهْر فيهم[٢]، ونتيجة لسياسة التولية والتثبيت من قِبَل الطاهريين وإقرارهم في ولاياتهم واعتمادهم عليهم أن تمتعوا بنفوذ كبير في مناطقهم[٣].

فعندما غزا عبد الله بن طاهر بلاد الأتراك الغزية، غزاها بمساعدة السامانيين الذين شاركوا مشاركة فعالة في تلك الحملة وفُتحت لهم مقاطع وأماكن لم يصلوا إليها من قبل[٤]، واستطاع السامانيون في ظل حكم الطاهريين من توسيع نفوذهم وتركيز سلطتهم فيما وراء النَّهْر، فقد تمكنوا من شن غاراتهم المتكررة باتجاه السهول التركية، وفتح مدنهم للحد من خطورة الترك، ونشر المبادئ الإسلامية بين ظهرانيهم[٥]

وهكذا كان السامانيون على استعداد لتنفيذ أوامر الطاهريين الصادرة إليهم من قبل الخلافة العباسية، فقد استجاب نوح بن أسد الساماني لتحريض الخليفة المعتصم، ونفذ أوامر عبد الله بن طاهر بن الحسين، حينما كلفه بالقبض على الحسن بن الأفشين، لكي لا يتمرد ضد الخلافة بعد أن ساءت العلاقة بين الخليفة المعتصم والأفشين[٦].

وكان لتولية الطاهريين السامانيين ولاة على بلاد ما وراء النَّهْر أثره في اشتراك السامانيين معهم في حروب الطاهريين مع الصفارين، فكانوا يشدون أزر الطاهريين أيام الحرب والسلم سواء بسواء، وكان ألياس بن أسد الساماني علي قيادة الجيش الذي بعثه الأمير محمد بن طاهر لإنقاذ مدينة بوشنج من قبضة وسيطرة يعقوب بن الليث الصفاري عام

١- محمد علي حيدر: الدويلات الإسلامية المستقلة فى المشرق، دار ابن رشد، بيروت- لبنان، ١٩٨٨م، ص٢٢٢.

٢- النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص١٤٥.

٣- حسن محمود: العالم الإسلامي، ص١٥٤.

٤- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٨٠.

٥- النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص٨٩.

٦- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص١٨٩.

٢٥٣هـ/ ٨٦٧م[١]، كما استمر السامانيون في التعاون مع الطاهريين خير تعاون ضد العلويين[٢].

ونتيجة لتولية السامانيين من قِبَل الطاهريين أثره في أن ارتفعت مكانة وشأن السامانيين عند الطاهريين، وأبرز مثال على ذلك ما يروى: "أن محمد بن نوح الساماني قد أرسله محمد بن طاهر علي رأس جيش لتحرير ولاية طَبَرِسْتَان من هيمنة وسيطرة الزيدية الشيعة ، ونتج عن ذلك أن أقر الطاهريون السامانيون في بلاد ما وراء النَّهْر وأكدوا سرًا وعلانية وراثة مناصبهم[٣]، مما أدى إلى تناهي قوة السامانيون قبل قرن من الزمن، وبحماية الطاهريين حتى تمكنوا من أن يرثوا حكم خُرِاسَان بعد زوال حكم الدولة الطاهرية[٤].

المبحث الثالث: أثر سياسة التولية والعزل على علاقات الدولة السامانية مع الصفاريين:

كان لتولي السامانيين ولايات ما وراء النَّهْر أثره الكبير في الحفاظ على تلك البلاد في أيديهم، ودفع الخطر الصفاري، الذي كان ينوي الاستيلاء على بلاد ما وراء النَّهْر، بل الوصول إلى بَغْدَاد ومحاربة الخلافة العباسية نفسها[٥].

فقد أصبح السامانيون بعد اقرار الخلافة العباسية بولايتهم على بلاد ما وراء النَّهْر أصحاب السلطة الشرعية في تلك البلاد، يأخذون ويتلقون أوامرهم من الخلافة مباشرة بعيدًا عن أوامر الولاة الصفاريين، فقد قامت الخلافة العباسية بتعيين السامانيين لبلاد ما وراء النَّهْر إقليمًا قائمًا بنفسه، ومنحت السامانيين حكمًا موالِيًا لها في المشرق الإسلامي بغرض ضرب القوى الصفارية في بلاد خُرِاسَان[٦]، كما أن تولية الأمير نصر بن أحمد الساماني أخيه إسماعيل حكم بُخَارَى التي كانت تابعة للصفاريين، وقد كان له أثره الكبير في طرد الصفاريين من بلاد ما وراء النَّهْر، حيث قُرأت الخطبة باسم الأمير نصر الساماني، وإسقاط أسم يعقوب بن الليث الصفار عنها[٧]، وكان السامانيون قد فهموا أن ولاية الصفاريين علي خُرِاسَان من قبل الخلافة العباسية ما هي إلا محاولة مؤقتة من الخلافة يراد بها إبعاد يعقوب بن الليث الصفار عن حاضرة الخلافة العباسية ببَغْدَاد، والتي كان

١- مؤرخ مجهول: تاريخ سِجِسْتَان، ترجمة محمود عبد الكريم، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة- مصر، ٢٠٠٦م، ص١٦٥.

٢- الطبري: تاريخ الرسل ،ج٣، ص١٩١.

٣- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٦٢؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص٩٦.

٤- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٤٢.

٥ الطبري: المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٨.

٦- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٧٨.

٧- النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص١١٠.

يطمح الصفاري في إملاء شروطه ورغباته فيها[١]، وتأكيدًا لذلك فقد اصطدمت القوتان الصفارية وجيوش الخلافة العباسية في دير العاقول[٢] سنة ٢٦٢هـ/٨٨٥م، وتحطمت قوة يعقوب في هذه المعركة، وأسفرت عن هزيمة الصفاريين، وعلى أثر ذلك فر يعقوب من أرض المعركة مهزومًا منها في حالة يرثي لها[٣].

ومن أثر ولاية السامانيين على بلاد ما وراء النَّهْر، أنهم كانوا مخلصين جدًا للخلافة العباسية، فلم يستغلوا حروبها مع الصفاريين، بل ألتزموا الحيطة والحذر الشديدين لاسيما بعد تعيين عمرو بن الليث الصفاري على ولاية خُراسَان في أعقاب وفاة أخيه يعقوب عام (٢٦٥هـ/٨٧٨م) إذْ أبدى عمرو تفاهمه مع الخلافة العباسية وولاءه لها[٤]، باعتبار أن الخليفة العباسي يمثل أعلى رمز بيده صنع القرار، وكان عزل عمرو بن الليث الصفاري عما كان قد قلدته الخلافة العباسية، وتولية محمد بن طاهر سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م[٥]، وكانت ولاية محمد بن طاهر بمثابة انقاذ للخلافة، وكعادة الولاة في تلك الفترة عندما كانت الخلافة تعينهم ولاة على ولاية كان الوالي يبقي بجوار الخلافة في عاصمتها خوفًا من عزله، ويرسل هو من ينوب عنه في الولاية[٦]، فقد استخلف محمد بن طاهر رافع بن هرثمة على خُراسَان ما عدا ما وراء النَّهْر، حيث بقيت بيد الأمير نصر بن أحمد الساماني[٧]. وجاء قرار الخلافة العباسية هذا تعزيزًا لمكانة السامانيين وتقوية نفوذهم في خُراسَان للحيلولة دون توسع رقعة دائرة الصفاريين وضرب سلطانهم في خُراسَان[٨]، وكانت ولاية رافع بن هرثمة على خُراسَان قد جاء فرصة كبيرة للسامانيين، ولضرب النفوذ الصفاري، حيث تمكن إسماعيل الساماني من حصوله على حكم خُوَارزم سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م، وفي القوت نفسه قدم إسماعيل المساعدات العسكرية لنجده حليفه وصديقه رافع بن هرثمة بغية القضاء على سلطة عمرو الصفاري وشل حركته ونشاطه، وهذا يدل علي عدم اعتراف السامانيين بسلطة ونفوذ عمرو الصفاري، فضلًا عن محاولتهم المتكررة للتخلص منه [٩].

١- آرمنيوس فامبري: تاريخ بُخَارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة أحمد محمود الساداتي ويحيى الخشاب، شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة- مصر، ١٩٦٥م، ص٩٥.

٢- دير العاقول: بين مدائن كسرى والنعمانية، بينه وبين بَغْداد ٩٠كم تقريبًا على شاطئ دجلة (ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٩٩٥م، ج٤، ص٣٥١).

٣- المسعودي: مروج الذهب، ج٤، ص٢٠٠.

٤- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٦٨.

٥- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، ٢٠١٣م، ج٥، ص٤٦٥.

٦- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٦٨.

٧- النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص١١٦.

٨- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٢٦.

٩- المسعودي: مروج الذهب، ج٤، ص٢٣٧.

ومما سبق فإنه يمكن القول إن علاقات دولة السامانيين مع القوى المجاورة لها قد تأثرت بسياسة التولية والعزل التي اتبعها حكام تلك الدولة، وأن ذلك الأثر شمل القوى المناوئة للدولة السامانية خاصة الدولة البويهية، فقد عزلت الدولة السامانية وولت من القادة العسكرين لجيوشها تبعًا لقوة أو ضعف هؤلاء القادة في مجابهة خطر دولة بني بويه، كما أن التولية والعزل قد شمل الولاة الذين كانوا يمثلون مصدرًا لسوء علاقة الدولة السامانية مع الدول المجاورة التى تربطها علاقات حُسن الجوار مع السامانيين مثل الصين والهِنْد، بالإضافة إلى أن علاقة الدولة السامانية بدولة بني العباس قد تأثرت كذلك بسياسة التولية والعزل، وأن خلفاء بني العباس كانوا يتدخلون في تولية وعزل أمراء وولاة وقادة الدولة السامانية، كما حدث في مساندتها لتولي نصر بن أحمد الساماني حكم تلك الدولة، وتدخلها لعزل والي خُراسَان إسحاق بن إسماعيل الساماني[١].

المبحث الرابع: أثر سياسة التولية والعزل على علاقات السامانيين مع بني بويه:

تأثرت العلاقات السياسية للدولة السامانية بما اتبعته تلك الدولة مع من عزل وتولية لولاتها وقادتها العسكريين وغيرهم من كبار موظفي تلك الدولة، وكانت أهم القوى السياسية في بلاد المشرق الإسلامي في عصر حكم الدولة السامانية وسيطرتها على بلاد ما وراء النَّهْر وما جاورها قد تمثلت في الدولة البويهية التي قامت في ظل الدولة العباسية أواخر العصر العباسي الثاني، والتي سيطرت على معظم بلاد فَارِس ثم كانت لهم السيطرة على الخلافة العباسية[٢].

لقد أرادت الدولة البويهية أن تمد نفوذها إلى المشرق الإسلامي، إذْ أرادت تلك الدولة التوسع فى تلك المنطقة على حساب مناطق نفوذ وسيطرة الدولة السامانية، وكان ذلك التوجه وتلك السياسة التي انتهجتها دولة بني بويه حيال المنطقة الإسلامية في المشرق قد أدت إلى حدوث صراعات وحروب بين بني بويه وآل سامان[٣].

لقد كان لسياسة التولية والعزل التي اتبعها حكام الدولة السامانية تجاه الولاة والوزراء والقادة العسكريين أثر واضح فى الصراع العسكري بين الدولة السامانية والدولة البويهية، إذْ كان الصراع بين هاتين الدولتين هو الذي دفع حاكم الدولة السامانية نوح بن نصر الساماني إلى عزل قائد جيوش الدولة السامانية فى خُراسَان القائد أبو علي أحمد بن محتاج

١ - ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٢، ص١٠٧.

٢- الخطيب البَغْدَادي: تاريخ بغْدَاد، بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج٤، ص٢٧١.

٣- الصابى: الوزاء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، ١٩٧٧م، ج١، ص٢١٣.

وذلك في سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م[١]، وذلك لفشل ذلك القائد العسكري في إلحاق الهزيمة بجيش الدولة البويهية في منطقة الرَّيّ[٢].

إن التوتر فى العلاقات السياسية بين بني بويه والدولة السامانية هو الذى أملى على نوح بن نصر الساماني عزل أبو علي بن محتاج وهو الذي أملى عليه كذلك تولية قيادة الجيش للقائد إبراهيم بن سيجمور الدواتي، وقد وجه نوح بن نصر قائد جيشه الذى ولاه لغرض محاربة الجيش البويهي إلى ضرورة إبعاد خطر تلك الدولة عن التوسع والسيطرة فى أقاليم بلاد ما وراء النَّهْر[٣].

كان على القائد العسكري إبراهيم بن سيجمور الدواتي الذى ولي قيادة الجيش الساماني أن يواجه الجيش البويهي من جانب، ومن جانب آخر كان عليه أن يواجه التمرد الذي قاده القائد العسكري المعزول أبو علي بن محتاج[٤]، وفيما له صلة بالقائد ابن محتاج، فقد قاد إبراهيم بن سيجمور الجيش الساماني للقضاء على تمرد القائد المعزول ابن محتاج، وقد جرت تلك الحروب عبر مدن خُراسَان المختلفة ولفترة طويلة إلى أن طلب ابن محتاج فى رسالة بعث بها إلى ابن سيجمور أن يتوسط بينه وبين الأمير السامانى نوح بن منصور، وقد وافق ابن سيجمور على تلك الوساطة التي أدت إلى استسلام ابن محتاج لقرار عزله فى عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م[٥].

كان على إبراهيم بن سيجمور أن يحارب ويدفع خطر الدولة البويهية عن مناطق نفوذ الدولة السامانية، خاصة وأن القائد العسكري ابن سيجمور كان يدرك أن توليته قيادة الجيش الساماني إنما كانت لرد خطر دولة بني يويه عن بلاد ما وراء النَّهْر، وأن فشله فى التصدي لخطر تلك الدولة سيؤدى إلى عزله كما عُزل القائد السابق ابن محتاج[٦]، لذلك أعد ابن سيجمور جيشه ونظمه أحسن ما يكون النظام، وقد تحرك به لمجابهة قوات الدولة البويهية في منطقة الرَّيّ، وقد استطاع ابن سيجمور أن يلحق بالقوات البويهية هزيمة قاسية قضت على مناطق نفوذهم في منطقة الرَّيّ وما حولها[٧].

١- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٧، ص٢٥٣.

٢- القرشي: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلوى، هجر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٩٩٣م، ج٣، ص٣١٣؛ أمل السعدي: دولة بنى بويه، مكتبة ابن تيمية، العرَاق، ١٩٨٧م، ص٠٤٢

٣- الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٣١.

٤- ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٢، ص١٠١.

٥- نظام الملك: سياست نامه، ترجمه عن الفارسية يوسف حسين بكار، الطبعة الثانية، دار الثقافة، قطر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص١٤٣.

٦- خواندمير: دستور الوزراء، ترجمة حربي أمين سليمان، دار الكتب، القاهرة- مصر، ١٩٨٠م، ص٠٢١٧

٧- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٧، ص٢٥٣.

إن عزل وتولية القائمين على شؤون الدولة السامانية فيما يتعلق بعلاقات تلك الدولة مع القوى الأخرى التي زامنت فترة حكم تلك الدولة لإقليم ما وراء النَّهْر لم تكن قاصرة على علاقات الدولة بالدولة البويهية فقط، بل استخدمت سلاح العزل والتولية والذى كان ذا أثر فى علاقات الدولة السامانية بدول أخرى منها الصين والهِنْد، إذْ ارتبطت الدولة السامانية بعلاقات حسنة مع الصين وكذلك الهِنْد، وكانت هناك علاقات تجارية رائجة بينهما، وقد حافظ حكام الدولة السامانية على تنمية الصلات التجارية مع هاتين الدولتين[١].

إن الحفاظ على هذه الصلات التجارية مع بلاد الصين والهِنْد قد جعل حاكم الدولة السامانية يعزل الوالي السامانى عن سِجِسْتان، بعد أن اشتكى التجار من هاتين الدولتين من سوء معاملة واليها محمد بن إسحاق بن أحمد السِجِسْتاني في عام ٣٤٢هـ/ ٩٥٣م[٢]، بل إن الأمير نوح بن نصر بعد أن عزل ذلك الوالي قبض عليه وساقه إلى السجن وقد ظل به إلى أن وافته المنية، وقد ولى بدلًا منه على تلك الولاية أحمد بن غالب الدواتي والذي ظل واليًا على تلك الولاية حتى عزله في سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٢م[٣].

١- مي محمد عادل: مي محمد عادل محمد: العصيان السياسي للقادة والأمراء العسكريين في عهد الدولة السامانية أسبابه وآثاره، ٢٦١-٣٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٩٩م، مقال بمجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد٣٥، ٢٠١٢م، ص٤٢.

٢- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٥٩.

٣- الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٢٩.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر العربية والمعربة:

١. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (٦٣٠هـ/ ١٢٣٨م):
"الكامل في التاريخ"، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار صادر، بيروت– لبنان، ١٩٧٩م، ج١، ج٥، ج٧، ج٨، ج١٦.

٢. ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن (ت ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م):
"تاريخ طَبَرِسْتَان"، ترجمة أحمد محمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة– مصر، ٢٠٠٢م.

٣. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م):
"المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٩٩٢م، ج٥، ج٦.

٤. الخطيب البَغْدَادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م):
"تاريخ بَغْدَاد"، بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج٤.

٥. ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد ابن إبراهيم (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):
"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت– لبنان، ٢٠١٣م، ج٥.

٦. خواندمير، غياث الدين بن همام الحسيني (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م):
"دستور الوزراء"، ترجمة حربي أمين سليمان، دار الكتب، القاهرة– مصر، ١٩٨٠م.

٧. الصابى، أبو الحسن الهلال بن المحسن الصابي (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م):
"الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء"، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، ١٩٧٧م، ج١.

٨. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):
"الوافي بالوفيات"، تحقيق تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت– لبنان، ٢٠٠٠م.

٩. الطبري، محمد ابن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م):
"تاريخ الرسل والملوك"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة– مصر، ١٩٨٥م، ج٢، ج٣، ج٤، ج٥، ج٨.

١. القرشي، عبد القادر بن محمد بن محمد بن نضر بن أبي الوفاء (ت٧٧٥هـ/ ١٣٧٤م):
"الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية"، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلوى، هجر للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ١٩٩٣م، ج٣.

٢. القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م):
"صبح الأعشى"، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٨٧م، ج٦.
٣. الكرديزي، أبو سعد عبد الحي بن الضحاك بن محمود (ت ١٤٤هـ/ ٧٦١م):
"زين الأخبار"، ترجمه عن الفارسية عفاف زيدان، دار الطباعة القانونية المحمدية، القاهرة- مصر، ١٩٨٢م.
٤. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٥م):
"مروج الذهب ومعادن الجوهر"، تحقيق مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، ٢٠٠٣م، ج٤.
٥. ابن مسكويه، أبو علي الرازي (ت٣٢٠هـ/ ٩٣٢م):
"تجارب الأمم وتعاقب الهمم"، تحقيق وترجمة أبو القاسم إمامي سروش، الطبعة الثانية، طهران- إيران، ٢٠٠٠م، ج٢.
٦. مؤرخ مجهول: تاريخ سِجِسْتان، ترجمة محمود عبد الكريم، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة- مصر، ٢٠٠٦م.
٧. النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م):
"تاريخ بُخَارَى"، عربه عن الفارسية وقدم له وعلق عليه أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٩٩٣م.
٨. نظام الملك، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (ت٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م):
"سياست نامه"، ترجمه عن الفارسية يوسف حسين بكار، الطبعة الثانية، دار الثقافة، قطر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
٩. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):
"معجم البلدان"، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٩٩٥م، ج٤.
ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:
١٠. آرمنيوس فامبري: تاريخ بُخَارَى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة أحمد محمود الساداتي ويحيى الخشاب، شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة- مصر، ١٩٦٥م.
١١. أمل السعدي: دولة بنى بويه، مكتبة ابن تيمية، العراق، ١٩٨٧م.
١٢. بارتولد: تُركِسْتَان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين هاشم، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨١م.

١٣.حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر العربي، القاهرة– مصر، ١٩٩٨م.

١٤.حسن أحمد محمود وإبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة– مصر، ١٩٦٦م.

١٥.محمد علي حيدر: الدويلات الإسلامية المستقلة فى المشرق، دار ابن رشد، بيروت– لبنان، ١٩٨٨م.

ثالثا: الدوريات والرسائل العلمية:

١٦.حسين أمين: الدولة السامانية، مقال بمجلة المؤرخ العربي، الصادرة عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد١٥، ١٩٨٠م.

١٧.محمود عرفة محمود: النقود في مصر والدول الإسلامية المستقلة في المشرق، رسالة دكتوارة غير منشورة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٦م.

١٨.مي محمد عادل محمد: العصيان السياسي للقادة والأمراء العسكريين في عهد الدولة السامانية أسبابه وآثاره، ٢٦١–٣٨٩هـ/ ٨٧٤–٩٩٩م، مقال بمجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد٣٥، ٢٠١٢م.